نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من العهد النبوي إلى القرن7هـ

الأستاذ: رابح أولاد ضياف
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

ملخَص:

عرفت البيمارستانات الإسلامية حالة من التطور مطردة فقد كانت بسيطة في العصر الأموي، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين، وساعد على ذلك اهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية.

وقد انتشرت البيمارستانات لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد فكان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، إذ أصبح في البيمارستان الواحد الجرائحية والكحالة والطبائعيون والمجبرون والنفسانيون وغير ذلك من التخصصات الطبية. كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت لها كل أسباب الراحة حيث كانت الأبواب مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع.

الكلمات المفتاحية: البيمارستان، الرعاية الصحية، التمريض، الجراحة، الكحالة.

لقد اهتم الإسلام في مضامينه التشريعية والأخلاقية بصحة المسلم وسلامة جسده، لذلك درج المسلمون على الحفاظ على سلامة البدن ورعاية الصحة الفردية والعامة، لأن ذلك من متطلبات الأهلية للقيام بأحكام التكليف المتعلقة بالشؤون العبادية، كالقدرة البدنية لوجوب الحج والصيام وغيرهما مما يدخل في هذا السياق.

لذلك عملوا على بناء دور الشفاء في مختلف الظروف والأحيان، وقد كان هذا الاهتمام قسمة بين الحكام والعامة لتطوير هذا الصرح العظيم في تاريخ الحضارة الإسلامية الذي بقيت بعض آثاره إلى العصر الحديث.

وعليه تعد قضية الرعاية الصحية وبناء المستشفيات (البيمارستانات) في العهد الإسلامي في العصر الوسيط جانب حضاري مهم، وهذا ما يدفعنا إلى البحث والكتابة في هذا الموضوع الذي لم ينل حقه من الدراسة على الرغم من أهميته .

وهذا ما يجعلنا نسأل عن حظ الاهتمام بصحة الإنسان وسلامته البدنية في الإسلام؟ وعن الواقعية الإجرائية في تجسيد هذه السياسة في حياة المسلمين؟ وعن المكتسبات المعرفية المتعلقة بالطب والتداوي عند العرب المسلمين؟ وما مدى استفادتهم في هذا المجال من الحضارات التي سبقتهم؟ وعن السياسات التي اتبعها الحكام والأمراء المسلمين في هذا المجال؟ وغيرها من التساؤلات التي نحاول الإجابة عنها من خلال هذا المقال.

لما جاء الإسلام قضى على الكهانة والدجل وحرَّم المداواة بالسحر والشعوذة، وأباح الطب الطبيعي، وسمح النبي صلى الله عليه وسلم بالعلاج من الأطباء ولو غير المسلمين، فلما مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حجة الوداع عاده النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: (إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك وينتفع آخرون) ثم قال للحارث بن كلدة

الثقفي(عالج سعدا مما به)، رغم أن الحارث بن كلدة على غير الإسلام، وكان طبيب العرب في زمانه من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى بلاد فارس وتعلم الطب عن أهل جند يسابور وغيرها في الجاهلية ثم رجع إلى الطائف[1].

لذلك اهتم الإسلام بصحة الإنسان الذي يعد محور التكليف الذي جاءت به شريعة الإسلام، فينبغي أن يتمتع بالصحة التي تسمح له بأداء الواجبات الشرعية كالصلاة والصيام والحج، وهي من الشعائر التي يشترط فيها توفر السلامة البدنية لأدائها، فإن اختل شرط الصحة البدنية خففت هذه الواجبات إلى القدر الذي يمكن أداؤها على وجه الرخصة والتيسير، وإلا سقط بعضها وعلق وجوبها إلى أن تتوفر السلامة البدنية.

وقد ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية بنعمة العافية وضرورة المحافظة عليها، قال

الله تعالى: **(وَنُنَزّل منَ القُرآنِ مَا هُو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمِنِينَ ولا يَزيدُ الظَّالمينَ إلا خَسَارَا)**[2]، وقوله **(وأيُّوب إِذْ نَادَى رَبَّه أَنِّي مَسَّني الضُّرُ وأنتَ أرحمُ الرَّاحِمينَ، فاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُر)**[3] وغيرها من النصوص.

أما عن الطب والصحة في السنة النبوية فقد جمع الإمام البخاري أحاديث نبوية صحيحة في كتابين من صحيحه، يحتوي الكتاب الأول على ثمانية وثلاثين حديثا في هذا الباب، والثاني يحتوي على إحدى وتسعين حديثا في نفس الباب، وهناك عدة مصنفات عن الطب النبوي منها كتاب الطب النبوي للذهبي، وكتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للحموي، وكتاب الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر وغيرها من المصنفات[4].

تذكر المصادر أنه لما مرض سعد بن معاذ رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنصب له خيمة في المسجد حتى يتمكن من زيارته، وكانت الخيمة لامرأة مجاهدة يقال لها رفيدة كانت تعمل على مداواة الجرحى، وكانت متميزة بالجراحة في تدخلاتها الطبية[5]، وكانت امرأة صالحة، وقد حبست نفسها على خدمة من كان مريضا من المسلمين، وكانت تساعدها أختها كعبة بنت سعيد الأسلمية، فكانت تلك الخيمة النواة الأولى للمارستانات في تاريخ الحضارة لإسلامية، وكانت رفيدة أول ممرضة في الإسلام[6].

أولا- تعريف البيمارستـــان:

البيمارستان بفتح الراء وسكون السين لفظة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار و ستان)، (بيمار) وتعني المريض أو العليل أو المصاب، و(ستان) وتعني مكان أو دار أو موضع، ومن ثم يكون معنى البيمارستان (موضع المرضى) أو (دار المرضى)، واختصـــرت لفظة البيمارستان في الاستعمال في ما بعد فصارت مارستان[7] ومديره يسمى (الساعور)[8].

وكانت البيمارستانات منذ أول عهدها عبارة عن مستشفيات عامة لمعالجة المرضى من مختلف الأمراض سواء كانت هذه الأمراض باطنية أم جراحية أو رمدية أو عقلية، وربما تتعرض هذه المؤسسات الصحية لعوادي الزمن من حين لآخر، فتحل بها الكوارث فتتعطل عن أداء وظيفتها العلاجية، فيهجرها المرضـــى، ولا يلازمها إلا من عجز على هجرانهـــا، من الذين لا مكان لهم سواها كالمجانين أصحاب الأمراض العصبية، بمعنى أن البيمارستان أصبح للأمراض العصبية[9]، فاقترنت لفظة البيمارستان بالمجانين، فأصبحت كلمة البيمارستان إذا أطلقت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين[10].

ولم تكن البيمارستانات مقتصرة على علاج المرضى فحسب، بل كانت كذلك بمثابة معاهد علمية يدرس فيها الطب والحالات التي تعرض عليهم، فكان بالبيمارستان إيوان كبير بمثابة قاعة محاضرات، يجلس فيه كبير الأطباء ومعه بقية الأطباء والطلاب الذين هم بصدد تعلم الطب، وإلى جانبهم الآلات والمصنفات الطبية، فتدور بينهم المناقشات حول مختلف المسائل المتعلقة بالصنعة، والإطلاع على مختلف الكتب التي صنفت في هذا الفن،إلى جانب ذلك يقومون بالزيارات الميدانية لإجراء الفحوص التجريبية، وهي بمثابة الدروس التطبيقية التي يقوم بها الطلبة على المرضى[11].

ثانيا- نشأة وتطور البيمارستانات في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي:

أما عن بداية نشأة البيمارستانات فإن المصادر التاريخية تؤكد عدم وجودها عند اليونانيين، كما أنها لم توجد عند الرومان إلا بيوتا لرعاية المسنين والعجزة، والمصابين من جنودها في العمليات الحربية، كما أن أوروبا المسيحية لم تعرف مثل تلك البيمارستانات إلا بيوتا للرحمة حين شهد العالم الإسلامي البيمارستانات المتخصصة في مختلف الخدمات الطبية[12].

فقد اهتدى المسلمون إلى إنشاء البيمارستان كمؤسسة صحية تمريضية منذ عهد مبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية.

1- العصــر النبــوي(1-11هـ /622-632)م:

لقد كان لعرب ما قبل الإسلام دراية ببعض المعارف الطبية، التي اهتدوا إليها عن طريق التجربة[13] أو اكتسبوها من خلال اتصالاتهم بالأمم الأخرى، إلا أنهم لم تكن لهم أماكن مخصصة لمعالجة المرضى، وقد برز بعض الأطباء من الذين اشتغلوا بالطب، مثل الحارث بن كلدة[14].

وفي غزوة الخندق أقام النبي صلى الله عليه وسلم خيمة لمعالجة الجرحى[15]، لذلك يعد النبي صلى الله عليه وسلم أول من أنشأ بيمارستانا في الإسلام، في وقت لم يكن للعرب ولا لغيرهم مكانا لمعالجة المرضى.

2- العصـــر الراشـــدي (11-40هـــ/632-660م):

شهدت فترة الخلفاء الراشدين حالة البساطة في الدولة الإسلامية في شؤونها المختلفة كتلك الحالة التي كانت عليها في عهد النبوة، وذلك من حيث البناء الحضاري، كتشييد المرافق العامة والمؤسسات الإدارية وبناء القصور والجسور وغيرها، لأن المرحلة كانت مرحلة البناء الروحي والعقدي الذي إنبنت عليه الحضارة الإسلامية فيما بعد وهو الأهم، وانشغال المسلمين بالدعوة للإسلام من خلال حركة الفتوح الإسلامية التي تعد من أولويات المرحلة كل ذلك كان سببا في عدم التفاتهم إلى تشييد العمائر والاهتمام بالصناعات المختلفة ومن بينها صناعة الطب إذا ما قارنا هذا العصر بالعصر الأموي والعباسي.

استـــمر الطب على حالته البسيطة في عهد الخلفاء الراشدين، ولم تنشأ فيه البيمارستانات بعد، كما أن العرب المسلمين في هذه الفترة لم يختلطوا بعد مع غيرهم من الأمم الأخرى إلا بعد انطلاق حركة الفتوح الإسلامية في الشرق والغرب، لذلك ظل الطب في هذه الفترة بملامحه البسيطة يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكي والحجامة أحيانا أخرى إلى مطلع العصر الأموي[16].

ومع ذلك فقد أبدى الخلفاء الراشدون عناية بالجانب الصحي بالقدر الذي يستجيب لطبيعة أولوية المرحلة، فقد حرص أبو بكر الصديق على السلامة الصحية للجنود وعدم إرهاقهم بالمسير، فقد أوصى القائد عمرو بن العاص

بذلك عند توجهه إلى فلسطين بالرفق بالجنود المسلمين وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة لأن فيهم ضعيف البدن الذي لا يقدر على المشي لأميال طويلة، وتزويد الجيش بالإسناد الطبي، ومراعاة الحالة الصحية والنفسية للجنود وغيرها من مظاهر اهتمامه رضي الله عنه في هذا الجانب[17].

كما أبدى خليفته من بعده عمر بن الخطاب اهتماما بالصحة العامة فكان يحذر من الإسراف في تناول الطعام والإكثار من أكل اللحوم، وأمر بإتمام الرضاعة للأطفال، وتوفير الطعام للمحتاجين، ويظهر اهتمامه كذلك بصحة الأمة من خلال موقفه من الأوبئة والأمراض المعدية ورعاية المجذومين، وتقديم الإعانات للجرحى وأسر الشهداء[18].

3- العصـــر الأمـــوي (41-132هـــ /661-749م):

اعتمد المسلمون في العصر الأموي والعباسي الأول على الأطباء الأعاجم وغير المسلمين وكان أغلبهم من النصارى الذين تلقوا فنون الطب في مدارس الرها ورأس العين ونصيبين وأنطاكية وجند يسابور والإسكندرية وحران وحظوا بحسن المعاملة من طرف المسلمين، فاندمجوا داخل المجتمع الإسلامي مما جعلهم ينقلون معارفهم الطبية وخلاصة الأبحاث الطبية اليونانية والسريانية والهندية والفارسية التي كانت من الأسس التي إنبنى عليها الطب الإسلامي[19].

و شهد مطلع العصر الأموي تطورا طفيفا في الطب، من خلال تعرف المسلمين في هذا العصر على المؤلفات الإغريقية وغيرها، وكان لمعاوية بن أبي سفيان طبيبان نصرانيان دمشقيان وهما ابن آثال الذي كان على معرفة بالأدوية والسموم، والآخر هو أبو الحكم الدمشقي، فكان طبيبه الخاص،

ويعتمد عليه في معالجة أهل بيته، وقد ترك ذرية من الأطباء المعروفين في العصر الأموي[20].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأ التأسيس الفعلي للمارستانات، فقد أنشأ معاوية مارستانا إسلاميا في عاصمة الدولة الأموية دمشق سنة 60 هـ/679 م تحت المؤذنة الغربية من الجامع الأموي[21].

كما أولى معاوية ابن أبي سفيان اهتماما بالبيمارستانات المتنقلة لتقديم الخدمات الطبية للحجيج، وعين لهم الأطباء[22].

أما الخليفة مروان بن الحكم (65هـ/684م) كان من الخلفاء الذين اهتموا بالطب فقد ترجم له طبيبه الخاص" ماسرويه " كتابا طبيا للقس السكندري "أهرن" المعروف بالكناش[23].

وفي العصر الأموي عرف العرب مدرسة الإسكندرية القديمة، فعرفوا المؤلفات اليونانية في الطب، ونقلوها إلى السريانية ثم إلى العربية، ويقال أن أول من قام بترجمتها في الإسلام كان على يد خالد بن يزيد (ت:85ه /704م)، ومن أطباء العصر الأموي المشهورين "تياذوق" (ت:90هـ/ 708 م) الذي عاصر أول عهد دولة بني أمية، وكان تياذوق هذا صديقا للحجاج بن يوسف الثقفي، وكان محل ثقة الحجاج فوثق به فكان من خدامه وخصه بمعالجة أمراضه[24].

وقد كان " تياذوق " طبيبا ماهرا فاضلا له نوادر وألفاظ مستحسنة في الطب، عاصر دولة بني أمية في أول عهدها ومشهورا عندهم، وقد خدم عبد الملك بن مروان بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته وكان يجري عليه الأموال الوافرة والافتقاد الكثير[25].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96ه/705-714م) تم إنشاء أول مارستان فعلي ثابت سنة 88 هـ/706م[26]، وأسكن به العميان، وحبس

المجذومين أن يخرجوا على الناس وأجرى لهم أرزاقا حتى لا تنتشر العدوى بين العامة[27]، واقتدى الحجاج بن يوسف بالوليد بن عبد الملك في بناء البيمارستان ففعل مثله[28]، ذكر ياقوت الحموي عن يأجج فقال أنه مكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذومين[29].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-719م) تم إنشاء ملجأ للفقراء، مزودا بالزيت والطحين والعجين، واعتبر هذا الملجأ بمثابة مارستان لوجود الأدوية به، وبعض ما يحتاجه المرضى من المستلزمات[30].

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب الطبيب أهرن بن أعين القس إلى العربية وذكر أن هذا الكتاب عثر عليه في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله عز وجل في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعون صباحا أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم[31].

وكانت مرافق الرعاية الصحية في هذه الفترة بسيطة، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، حتى أصبحت بعد قرن من الزمن تتوفر بها التسهيلات التي يريدها المريض، من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين[32]، وقد شارك في بنائها أهل البر والإحسان، لأنها كانت مظهرا من مظاهر أعمال البر والخير[33].

4- العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م):

في العصر العباسي شهدت البيمارستانات تطورا كبيرا، وذلك لاهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية، إذ تبارى الخلفاء والسلاطين والأمراء والأعيان والميسورين على إنشاء البيمارستانات، وأوقفوا لها الأوقاف الكثيرة، مما ساهم في تطور الخدمات الصحية

بالبيمارستانات، وتنظيم العمل بها، وقسمت إلى أقسام خاصة وعامة يرتادها مختلف فئات المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم ذميين أغنياء أم فقراء صغارا أم كبارا[34].

ومن الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بإنشاء البيمارستانات الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158هـ/753-774م)، ويعد أول من استقدم الأطباء من جنديسابور، وهو الذي أنشأ دارا للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون[35]، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الدار التي بناها المنصور إنما هي مارستان وهي أول مارستان عباسي، وقيل أنه لما شيد المنصور هذا المارستان قال في حفل افتتاحه (إني أكرس هذا المارستان للرفيع والوضيع، وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك، وللجندي والأمير، وللعظيم والحقير، وللرجال والنساء)[36].

كما رتب الخليفة العباسي المهدي(158-169هـ/774-785م) المخصصات للمجذومين والمسجونين، إلا أن الفضل في تأسيس مارستان بكامل تجهيزاته المعروفة في ذلك العصر يرجع إلى هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، ودعا الطبيب الشهير " جبرائيل بن بختيشوع " من مدرسة جند يسابور لرئاسته، فأصبح ذلك البيمارستان محور النشاط الطبي في الإسلام، ومركزا لتقدم الطب الإسلامي[37].

إلا أن هناك من المصادر التي تذكر أن هارون الرشيد خامس بني العباس قد أمر جبريل بن بختشوع أن ينشئ مارستانا في بغداد، فأنشأ مارستانا له وظيفتان مزدوجتان أولهما علاج المرضى، والثانية تعليم الطلبة الراغبين في مهنة الطب والعلوم الطبية[38]، ورشح لرئاسته ماسويه الخوزي من أطباء مدرسة جنديسابور، وتولى جبريل بن بختشوع رعايته[39].

وبني مارستانا آخر في بغداد تحت رعاية البرامكة، وكان الطبيب ابن دهني طبيبا ورئيسا له[40]، ولما اشتهر مارستان بغداد أخذت المدن الأخرى في تقليدها، وكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد أنشأ مارستانا في مصر عرف بمارستان المعافر، ولما تولى ابن طولون مصر أنشأ بها سنة 259 هـ/872م مارستانا عرف بمارستان ابن طولون، وانفق على بنائه 60.000 دينارا، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم، وكان أول مارستان بمصر، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وحبس عليه عوائد مالية تضمن بقاءه، وكان يتعهده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته[41].

وفي عهد الخليفة المعتصم (218-227 هـ/833-841م) أنشأ مارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وكان ينفق عليه كل يوم عشرة دنانير فيما يخص نفقات الأطباء والبيمارستان[42]، ويعطي الأرزاق للأطباء والكحالين، واهتم بالخدم والقومة الذين يخدمون المجانين، كما كان يتكفل بثمن الطعام والشراب والخبازين والبوابين، ومن يتكفل بالمؤن وكان يعرف هذا البيمارستان بالصاعدي أو العتيق[43].

وفي عام 302 هـ / 914م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 334هـ/945م) مارستانا بالخريبة.

وقد كانت تلك الإنفاقات على بناء المارستانات خلال فترة أزمات مالية لم تكن الوضعية المالية لبيت المال تسمح بالإنفاق إلا على الضروريات[44].

وفي عهد الخليفة المقتدر (295-319هـ /907-931م) ازداد بناء البيمارستانات[45]، وفي سنة 295هـ/907 م أمر بإصلاح البيمارستانات في جميع أنحاء الدولة، وتوفير ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، والمواد الغذائية والتموينية[46]، وأصبحت مهنة الطب لا يمكن أن يمارسها، ما لم

يمتحن داخل البيمارستان، وذلك عندما سجلت أخطاء طبية في التشخيص، أو وصف العلاج، فأمر المقتدر بمنع الأطباء من ممارسة مهنة الطب، حتى يتحصل من يزاولها على إجازة بمزاولة المهنة، فأمر الخليفة المقتدر الطبيب سنان بن ثابت بن قرة بالإشراف على امتحان الأطباء، وإجازة من ثبتت كفاءته، فأجرى سنان بن ثابت هذا الامتحان لنحو 900 طبيب في بغداد[47].

وفي عام 306 هـ/918م أشار الطبيب ثابت بن قرة الحراني على الخليفة العباسي المقتدر(295-319هـ/907-931م) أن يبني مارستانا ينسب إليه، وجعله عند باب الشام، وسمّاه البيمارستان المقتدري[48]، وانفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار[49].

وفي أول محرم من عام 306هـ/918 م افتتح مارستان السيدة شغب أم الخليفة المقتدر[50]، وكان افتتاحه من قبل أبو سعيد سنان بن ثابت، وقد اتخذه بسوق يحي على نهر دجلة، وجلس فيه ورتبت الأطباء والخدم والقومة، وبلغت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار[51]، ومبلغ النفقة عليه في العام سبعة ألاف دينار[52].

ومن الأطباء الذين خدموا في البيمارستان المقتدري يوسف الواسطي، الذي لازم البيمارستان، وقرأ عليه جبريل بن بختشوع، كما عمل به كذلك جبريل بن عبيد الله بن بختشوع، كان عالما مقتدرا متقنا لمهنة الطب، وكان من أطباء المقتدر، ولازم البيمارستان والعلم والدرس، فأقـام ببغداد ثلاثين سنة، ثم انتقل إلـى ميافارقين، فالتحق بممهد الدولة حيث توفـي سنة 396هـ /1005م[53].

وفي سنة 311 هـ/923م كان للوزير ابن الفرات مارستانا، ففي سنة 313 هـ/925 م قلد الوزير ابن خاقان(ت:247 هـ/861 م) الطبيب

أبو الحسن سنان بن ثابت مارستان ابن الفرات بدرب المفضل، الذي ينفق عليه من ماله مائتي دينار كل شهر[54].

وزادت البيمارستانات في العهد العباسي، وشهدت تطورا عما كانت عليه من قبل، وقد اشتملت بغداد وحدها على ما يزيد عن عشرة مارستانات، وما يقارب المائة في سائر الأمصار الإسلامية، ومن الإضافات الجديدة للمارستانات في هذا العهد أن عهد بالتمريض للعبيد[55].

كما أضيفت الحدائق للمارستانات، تزرع فيها الأعشاب والنباتات الطبية[56]، وظهر كذلك نظام الدوام المستمر والمتابعة الطبية في نظام عمل البيمارستان، حيث سمح للمريض بالتردد المستمر على الطبيب المعالج في أي وقت[57].

ومن أشهر الأمصار الإسلامية التي عرفت انتشار البيمارستانات هي أنطاكية ودمشق وحلب والقاهرة والقدس ومدن إسلامية أخرى، ومن أشهرها البيمارستان البويهي و العضدي في بغداد، أما البيمارستان البويهي فقد بدأ في إنشائه معز الدولة بن بويه سنة 355هـ/965م وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن تكون غلال الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البيمارستان[58].

أما البيمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372 هـ/982م، ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان، ونقل إليه من الأدوية و الأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه[59]، فغرم عليه مالا عظيما، حتى قيل أنه ليس له مثيل في الدنيا، وأعد له من الآلات الشيء الكثير، واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا[60].

و في سنة 449 هـــ/1057م حل التلف بمرافق البيمارستان العضدي، فنظر عميد الملك في البيمارستان فوجده قد خلا من الدواء والشراب، وأتلفت الأفرشة والمرضى يفترشون الأرض، فوجد عند رأس المريض بصلة يشمها، وعطش بعضهم فقام بنفسه حيث الماء فوجد فيه حمأة ودودا، وذكر أن يهوديا يعرف بالهاروني قد استولى على البيمارستان، وأكل أوقافه، فخلص عميد الدولة البيمارستان من أيدي الطامعين، وكان على بابه سوق فيها مائة دكان قد دثرت فأعادها، وجمع فيه من الأشربة و الأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئا كثيرا، وأقام الفرش واللحف للمرضى، والأراييح الطيبة والأسرة والثلج والمستخدمين، والأطباء والفراشين[61].

وكان فيه ثمانية وعشرين طبيبا ونساء طباخات وبوابون وحراس، والحمام، والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول، والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبون فيه، وتعددت تجهيزاته من حيث الأطعمة والعقاقيـــر الطبية وغيرها، فتوفر به السكر واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير، والتمر الهندي والزنجبيل وعود الرند والمسك والعنبر والراوند الصيني والترياق الفاروقي، وصناديق فيها أكفان، وقدور كبار وصغار، وذكر أن فيه أشياء لا يوجد مثلها في بيوت الخلفاء[62].

وفي عهد الخليفة المقتدي بأمر الله (468-487 هـــ/1075-1094م) حل الطاعون في بغداد وضواحيها سنة 478هـــ/ 1085م، وهو من أخطر الأمراض الفتّاكة في ذلك العصر، فاستعصى على الأطباء أن يصفوا له علاجا لا من المسخنات ولا من المبردات، وفتك بالناس فتكا ذريعا، حتى قيل أن الميت يمكث اليوم واليومين لا يجد من يغسله، أو يكفنه أو يحفر له قبرا خشية العدوى، فخصص المقتدي بأمر الله مكانا للناس لدفن الموتى، وهي

ضيعة تعرف بالأجمة فامتلأت بالقبور، وانتقل الوباء إلى الشام وخراسان والحجاز، كما انتشر الجذري فأصاب الأطفال، وقحط الناس، فأمد المقتدي بأمر الله الفقراء بالأدوية والمال، وأمر أطباء البيمارستان مراعاة جميع المرضى، وأن يعالجوا بالمجان، وأرصد البيمارستان لاستقبال المرضى وعلاجهم[63].

وفي عهد المستنصر بالله (623-649هـ/1226-1251م) أنشأ مارستانا في مكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام سنة 627 هـ/1229م و بنى دورا للضيافة وأماكن عامة لعلاج المرضى، وهي بمثابة مارستانا عاما، كما أنشأ مارستانا خاص بالمدرسة المستنصرية، وجعل فيه الأطباء وما يلزم لعلاج المرضى وكان يعرف بمارستان المستنصر[64] ويرجع تاريخ وقفه إلى سنة 638 ه/1240 م[65] و بنى بمكة والمدينة دورا للمرضى وأرسل إليها ما تحتاج إليه من العقاقير والمركبات والأدوية[66].

ولما انتشرت البيمارستانات في مختلف أمصار البلاد الإسلامية لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد كان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، فأصبح في البيمارستان الواحد يوجد به الجرائحية والكحالة والطبائعيون[67] والمجبرون والنفسانيون وغيرها من التخصصات الطبية.

كما رعي جنس المرضى الملازمين للمارستان، فقد كان لكل من الرجال والنساء قسم خاص به[68]، كما قسمت البيمارستانات إلى أقسام خصص كل منها لمرض من الأمراض ولكل قسم طبيب فأكثر[69]، وبفعل التطور الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أدى ذلك إلى تطور الخدمات الطبية وتحسينها، حتى أصبح المريض يعرض نفسه على الأطباء فتشخص حالته

المرضية ثم يوجه إلى القسم المختص، وهي بمثابة الإسعافات الأولية التي تقدم للمريض قبل العلاج[70].

وكان المرضى الذين هم بحاجة إلى الإقامة بالبيمارستان يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، ويكون بكل قسم من تلك القاعات أطباء حسب حاجة وعدد المرضى[71].

كما أصبحت البيمارستانات توفر حاجيات المرضى والأطباء، كما تطورت في عمرانها وصارت أكثر زخرفة، وكانت تطلى باللون الأبيض لما لهذا اللون من دلالات طبية ونفسية، فكانت غرف المرضى تطلى باللون الأبيض[72].

ومن مظاهر تطور الخدمات الطبية بالبيمارستانات، فقد عرفت الجراحة وسائل التخدير المفقدة للحواس والمسكنة للآلام قبل إجراء العمليات الجراحية[73]، كاستعمال عشب البنج والزوان.

ومن التطور أيضا الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أن عرفت صناعة الأدوية، كما ظهرت صيدليات لصرف الأدوية وحفظها وتخزينها، كما تضمنت البيمارستانات قاعات كبيرة لتدريس الطب[74].

كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الراحة من أسرة وثيرة ناعمة، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع دون تمييز[75].

ونظرا لأهمية الخدمات الطبية التي تقدمها البيمارستانات فقد أصبحت تخضع لنظام الحسبة والقضاء ومتابعة المقصرين وغير الأكفاء الذين يمارسون الطب، ومراقبة الأخطاء الطبية، فإذا دخل الطبيب على المريض وشخص مرضه يسأله عما يجد من الألم، ثم يرتب له وصفة من الأشربة

والعقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض، ثم يأتي المريض في يوم الغد فينظر الطبيب إلى مرضه وإلى الدواء، ويسأله عن مدى تحسنه أو سوء حالته بسبب تناوله للدواء، فيثبت الحالة بالكتابة ويسلمها إلى أهله، فإن كان يوم الغد فعل كذلك، وفي اليوم الرابع إلى أن يبرأ المريض أو يموت، فإن برئ المريض من مرضه أخذ الطبيب أجرته، وإن مات حضر أولياؤه عند الطبيب المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب المعالج، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب المعالج، قال هذا قضاء وقدر، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك، قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب المعالج، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه[76].

وينبغي للمحتسب أن يأخذ على الأطباء عهد أبقراط الذي أخذه على سائر الأطباء، ويحلفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مضرا، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا سموما عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الجنين، ولا للرجال الذي يقطع النسل، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم إلى المرضى، ولا يفشوا الأسرار، ولا يهتكوا الأستار[77].

أما الكحالين فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين المتضمن لعشر مقالات في العين، فمن وجده قيما فيما امتحنه به عارفا بتشريح طبقات العين، وعدد السبعة، وعدد رطوبتها الثلاثة، وما يتفرع عن ذلك من الأمراض، وكان خبيرا بتركيب الأكحال، وأمزجة العقاقير وغيرها من الشروط التي يجب مراعاتها لممارسة طب العيون، أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس[78].

ومن مظاهر التطور الذي صارت عليه البيمارستانات في هذا العصر أن جلبت إليها المياه، وجمعت في برك وبحيرات من أجل توفير جو من الراحة

النفسية والهدوء في نفوس المرضى، فقد كانت هــذه من الناحية الصحية أفضل من المستشفيات الحديثة من حيث سعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وتهويتها[79].

ومن المظاهر الحضارية التي تميزت بها البيمارستانات في هذا العصر أن وجدت بها ساعات كبيرة عند مدخل البيمارستان حتى يتم ضبط الأوقات للأطباء والمرضى، كما كان يؤتى بالقصاصين إلى البيمارستانات للترفيه عن المرضى، كما كان يوقف للمرضى مراوح من خوص لاستعمالها في أيام الحر الشديد، وكان في مدينة طرابلس الشرق وقف غريب حيث تم توظيف اثنان يمران بالبيمارستان كل يوم ويتحدثان بجانب المريض بحديث خافت يسمعه المريض بما يوحي إليه بتحسن حاله واحمرار وجهه، وبريق عينيه، مما يبعث الأمل في نفس المريض ويرفع من معنوياته ويساعده على الشفاء[80].

ومن ذلك أيضا وجود الناقلات التي يحمل عليها المرضى العاجزين عن المشي بسبب سوء حالتهم المرضية أو من بترت أطرافهم، أو الحالات الاستعجالية، أو نقل المرضى من بيوتهم إلى البيمارستان[81].

وكان يفد على البيمارستانات كبار العلماء من الفقهاء والنحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والرياضيــون، مما جعل من البيمارستانات مجمع للعلوم والعلمــاء الموسوعيين، وقد كان لأولئك العلماء دور بارز في تمويل البيمارستانات ماليا من خلال تلك الأوقاف التي جعلوها للمارستانات[82].

كما أن الجانب المعماري لهذه البيمارستانات الذي كان غايــة في دقة الإنجاز لأولئك المهندسين المسلمين، فقد كانت من مفاخر العمارة الإسلامية رونقا وجمالا، فكانت إضافة جديدة في العمارة الإسلامية، فكانت بمثابة

قصور رائقة حسنا واتساعا كما يصفها ابن جبير عندما يصف مارستان القاهرة الذي بناه السلطان صلاح الدين (البيمارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قــصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا) [83].

أما عن المارستانات في منطقة المغرب الإسلامي فإن أقدم مارستانات المغرب هو المارستان الذي أنشأه المهدي بن تومرت (485-524هـ/1092-1129م) [84]، ومارستان يعقوب المنصور الموحدي سنة 621 هـ/1224م، وبذلك يكون قد تأخر ظــهور المارستانــات في المغرب عن المشــرق شأنها شأن المنجزات الحضارية الأخــرى كالمدارس، كما يبدو أيضا أن المارستانات المغربية لم تحاكي مثيلاتها المشرقية، حيث أن المارستانات المغربية كانت عامة، وأن وظيفتها الأساسية كانت تطبيبية فحسب، على خلاف أن المارستانات المشرقية منها من كانت تقدم الدروس الطبية للطلبة، أي التي اهتمت بالناحية العلاجية والعلمية[85].

رابعا- خدمــات الجرايــة على المرافق الصحية في الإسلام:

1- الجرايــة على المارستانات:

أ- العصــر الأمــوي:

كان أول من أجرى على المرضى في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم من أرض الشام مر بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم[86].

و شهد العصر الأموي إنشاء أول مارستان في الإسلام يقدم الخدمات الطبية المجانية لعامة الناس، وقد أورد مؤرخو الإسلام عن هذه الفترة الخدمات التي قدمها الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) لذوي الأمراض المزمنــة كالمجذومين، حيث ذكرت المصادر في حــوادث سنــة

88 هـــ/706م أنه حبسهم ومنعهم من أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا ومنعـــهم من أن يسألوا الناس[87].

إلا أن المؤسف أن المصادر لم تسعفنا بطبيعة هذه الجرايات والأرزاق ولا بالمكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان، فقد ذكرت عرضا دون تحديد طبيعة هذه الخدمات.

وكانت هذه المجذمة التي أقامها الوليد بن عبد الملك أول مجذمة في تاريخ الطب الإسلامي، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا على الناس خشية العدوى، وقد امتثل الحجاج بن يوسف لهذه السياسة الصحية، فحجز المجذومين والزمنى من أهل العراق، وأجرى عليهم الأرزاق، وكانت هذه الدور النواة الأولى التي أنشئت منها المارستانات الخاصة بذوي العاهات والزمنى وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـــ/717-719م) اتخذ دارا للعجزة والفقراء، وزدها بالتمر والزيت والطحين[88].

ب- العصـــر العباســـي:

لم تظهر في العصر العباسي الأول الخدمات الطبية بالشكل الذي صارت عليه في العصور الأخرى، حيث لم تذكر المصادر عن ذلك إلا النزر القليل كاتخاذ الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158 هـــ/753-774م) دورا للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون[89].

ذكر الطبري في حوادث سنة 162هـــ/778م أن الخليفة العباسي المهدي (158-169هـــ/778-785م) أمر أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في الأفاق[90]، والظاهر أن تمويل هذه الجرايات كان من بيت المال حيث أن الطبري لم يذكر إن كان المهدي قد أوقف شيئا لضمان وجود العوائد المالية التي تُكفل تسديد تلك الرواتب دوريا، كما أنـــها تضمن استمـــرارها

وبـــقاءها، وغالبا أن مثـــل هذه السياســـة تكون مرتبطة بظروف سياسية معينة، وتنتهي بانتهاء أسبابها، أو بانتهاء أصحابها، لذلك فالوقف يضمن استمرار وبقاء أصول هذه الجرايات.

كما ذكر أن الخليفة المعتصم بالله العباســـي (218-227هـــ /833-841م) قد بنى بيمارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وأوكل أمر بناءه للطبيب أبي بكر الرازي، وكان المعتصم يخرج عشرة دنانير يوميا أي ما قدره ثلاثمائة دينار شهريا كنفقة على هذا المارستان، وكان يتكفل بنفقات الأطعمة والمؤن وجرايات الأطباء والمستخدمين، وعرف هذا المارستان بالصاعدي أو العتيق[91].

أما العصر العباسي الثاني فقد أوردت المصادر الأخبار عن الخدمات الطبية التي رصدتها الدولة، سواء المتمثلة في الجهود التي قدمها الخلفاء في هذا المجال، أو التي كانت بمبادرة من رجال الدولة أو الأمراء والميسورين من مختلف فئات المجتمع.

وتمثلت تلك الجهود في إقامة المؤسسات الصحية التي تقـــدم الخدمات الطبيـــة مثل المارستـــانات بمختلف أنواعها سواء الثابتة أو المنقولة وأُرصدت لها الأموال لتوفير اللوازم الضرورية من دواء وطعام ولباس وآلات للجراحة والتضميد وصيدليات لصرف الأدوية وحتى مرتبات شهرية وإعانات مالية للمرضى وغيرها، لذلك سنستعرض خدمات الجراية الصحية بالبيمارستانات العباسية.

- **بيمارستانـــات بغـــداد:**

1)- بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى الجراح:

في عام 302هـ/914م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت:334ه/945 م) مارستانا بالخريبة وأنفق عليه من ماله، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطيبه، وهو أحد النقلة المجيدين، وكان منقطعا له[92].

وأنفق عليه من ماله، وكتب إلى متولي الوقف الخاص بالبيمارستانات (يجب أن يدفأ المرضى و الممردين- المجانين- بالأغطية والكسوة والفحم، ويقام لهم القوت ويصل إليهم العلاج)[93] إلا أنه لا تذكر المصادر أوقافا لهذا البيمارستان، ومع ذلك فإن عدم الإشارة لا يعني أنه لم ترصد له النفقات المالية الكافية لتقديم الخدمات اللازمة للطعام والدواء وغيرها، لما عرف هذا الوزير من أعمال الخير والبر فقد كانت جرايته من الأموال تجري على نحو خمسة وأربعين ألف إنسان جرايات تكفي حاجاتهم[94].

وكان يستغل ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينار ويخرج منها في وجوه البر ستمائة ألف دينار وستين ألف دينار، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته، وكانت غلته عند لزوم بيته وعزله عـــن الوزارة نيفا وثمانين ألف دينار، ينفـــق على نفسه وخاصته ثلاثين ألف دينار، ويصرف الباقي في وجوه البر[95].

أمام هذا اليسر المالي وما عرف عن هذا الوزير من أفعال البر والإحسان والإنفاق في وجوه الخير فلا شك أن بيمارستانه قد ناله حظ وافر من هذه الأمـــوال، لأنه لا يعقل أن ينفق هذه الأمـــوال ولا يخص بيمارستانـــه بنصيب منها.

2)- البيمارستان الصاعدي:

كان ببغداد في عهد الخليفة المعتضد (279-289 هـــ/892-901م)، وكانت نفقاته وأرزاق المتطببين والكحالين، ومن يخدم المرضى المجانين

والبوابين والخبازين، وأثمان الطعام والأدوية والأشربة التي تقدم لمرضى المارستان 450 دينارا في الشهر[96].

3)- بيمارستان المقتـــدر:

المعروف بالبيمارستان المقتدري الذي أنشأه الخليفة المقتدر (295-319هـ/907-931 م) سنة 306 هـ/918م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني، وجعله عند باب الشام، محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد، وسمي هذا المارستان بالمارستان المقتدري[97]، وكان يجري عليه كل شهر مائتي دينار[98]، وكان مبلغ نفقته في العام 7000 دينار في السنة من الخليفة المقتدر[99].

4)- بيمارستان السيدة أم المقتدر:

بنته السيـــدة شغب أم الخليفة المقتدر سنة 306 هـ/918م وفتحه الطبيب سنان بن ثابت، وكان موقعه بسوق يحي بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ودار المملكـــة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، وبلغت جرايات النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار[100]، وسبعة آلاف دينار كل عام[101]، على يدي يوسف بن يحي المنجم، لأن سنانا لم يدخل يده في شيء من نفقات المارستان[102].

5)- بيمارستان ابن الفرات:

بناه الوزير ابن الفرات قبل القبض عليه من الخليفة المقتدر وعزله، وفي سنة 313 هـ/925 م عين الوزير أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحي بن خاقان وزير المقتدر بعد ابن الفرات على إدارته الطبيب أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وقد كان ابن خاقان يجري على المارستان من ماله مائتي دينار كل شهر كنفقات للخدمات التي تقدم للمرضى المقيمين به[103]، وكان هذا المارستان عبارة عن جامعة خصصها الوزير ابن

خاقان للموظفين العاملين تحت إمرته، وكان يحق لهم التداوي فيه، ونيل مختلف أنواع العلاج والعناية بلا مقابل[104].

6)- بيمارستان الأمير أبي الحسن بجكم:

أنشأه الأمير أبو الخير أمير الأمراء أبو الحسن سنة 329 هـ/940م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت، وقد أقيم هذا المارستان فوق ربوة على الشاطئ الغربي من دجلة حيث كان قصر هارون الرشيد، وقد بناه احتسابا للأجر من الله تعالى ورحمة وشفاء للناس، لما عرف عن هذا الأمير من صلاح وحب للخير وعطفا على الضعفاء والمساكين وقد أجرى عليه أموالا عظيمة، واستمر هذا المارستان زمنا طويلا، ثم جدده عضد الدولة سنة 368هـ/987م، وأعيد فتحه سنة 371 هـ/981م، وزوده بالأطباء والخزان والوكلاء والحرس [105].

7)- بيمارستان معز الدولة بن بويه:

أنشأه معز الدولة بن بويه سنة 355 هـ /965 م، وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن يكون مغلّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البيمارستان[106].

فقد كان في أوقافـــه مستغلات في منطقـــة الرصافة، وضياع في منطقة كلواذي و قطربل وجرجرايا بلغت عوائدها المالية نحو الخمسة آلاف دينار، فضلا عن بناء قناطر على الخندق في الياسرية والزياتين ببغداد جعل عوائدها المالية جراية على المستشفى[107].

8)- البيمارستان العضـــدي:

أما البيمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372هـ/982 م، وهو من أكبر البيمارستانات، ولشهرته سميت المنطقة التي بني بها بسوق المارستان[108]، حتى قيل أنه ليس له مثيل في الدنيا. ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه[109]، فغرم عليهم مالا عظيما، وأعد له من الآلات ما يطول شرحه[110]، واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا[111]، يعالجون المرضى، ويطبخون الأدوية، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من الأدوية[112].

ومن الذين وقفوا على المارستان العضدي شباشي الحاجب (ت: 408 هـ/1017م) فقال ابن كثير عن أوقافه (وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئا كثيرا من الزروع والثمار والخراج)[113]، والواضح أن هذه الأوقاف هي جرايات تتعلق بالطعام والأموال لتقديم الخدمات الصحية لمرضى المارستان.

وأورد ابن الجوزي في حوادث سنة 408 هـ/1017م عن أوقاف "دباها" أن عوائدها السنوية من الغلة (كان ارتفاعها أربعين كرا وألف دينار) [114].

وفي سنة 501 هـ/1107 م حظي البيمارستان العضدي بمساعدة مالية من طرف السلطان محمد شاه السلجوقي عندما زار بغداد، وذلك بعد أن عولج فيه بعض غلمانه، فبعث بمائة ألف وقال تصرف في مصالح المارستان[115].

و في حدود منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كانت بالمارستان العضدي بناية تدعى دار المارستان يأوي إليها المجانين الذين يؤثر فيهم حر الشمس وقيظها، فيقيدهم الأطباء السلاسل ويمكثون بالمارستان

و يعيشون على نفقة الخليفة، ويتفقدهم أطباؤه مرة في كل شهر فيطلقون سراح من برء منهم[116].

وأعيد ترميم هذا المارستان سنة 448 هـــ/1056م في عهد الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـــ/ 1030-1074م)، وزوده بمختلف الأدويـــة والعقاقير النادرة والفـــرش واللحف والعطور والأســـرة والأطبـــاء والمستخدمين[117]، وجعل فيه الحمامات وبستانا كبيرا فيه مختلف أنواع الثمار[118].

وقد وصفه ابن جبير حين زار بغداد سنة 580 هـــ/1184م بأنه من جملة الخدمات التي كانت تقدم به جرايات الطعام المتمثلة في الأغذية التي كانت تقدم به فقال (وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية) [119].

وأعاد زرع بستانه بمختلف أشجار الفاكهة، وكانت تدخر به ما يجرى على المرضى من الأطعمة فزوده بمخازن للأغذية المتنوعة، والفاكهة المجففة، والسكر[120]، وقد أشار ابن جبير إلى أن البيمارستان كان يقدم به الطعام المجاني للمرضى[121].

9- بيمارستان تتش السلجوقي بباب الأزج:

وهو من بيمارستانات العصر السلجوقي بباب الأزج، إحدى محـــلات بغداد وينسب إنشاؤه إلى خمارتكين خادم تاج الدولة تتش بن ألب أرســـلان، الذي أنشأه سنة 507هـــ/ 1113م[122]، وزود هذا المارستان بالفحم والكسوة ومؤن الطعام والدواء لفترات طويلة[123].

وقد ذكر ياقـــوت الحمـــوي عما بناه الخادم خمارتكين ببغداد وهي المدرسة والمارستان والرباط فقال (وجميع ما ذكرناه في بغداد موجود

معمور الآن جار على أحسن نظام، عليه الوكلاء يجبون أمواله ويصرفونها في وجوهها) [124].

وفي النص دلالة واضحة عن رصد الأموال لهذه المؤسسات التنشية التي أنشأها خمارتكين، ومن بينها المارستان، من أجل أن تستمر في تقديم خدماتها الخيرية.

ويبدو أن هذا المارستان التنشي ظل قائما يقدم الخدمات الطبية إلى مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وما يؤيد ذلك ما ذُكر أن أبا الحسن الدوتائي قد توفي بهذا المارستان سنة 607 هـ/1210 م[125].

- **بيمارستان واســط:**

أنشأه مؤيد الدولة أبو علي الحسن بن الحسن الرُّخَّجي البويهي، وزير شــرف الدولة بن بهــاء الدولة، مدبر دولة الخليفة القــادر سنة 413هـ/1022م، وهو من المارستانات الوقفية في العراق، ويعرف بالمارســتان المؤيدي، وأكثر فيه من الأدويـــــة والأشربة والعقاقير ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه[126]، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وفرض له أموالا تنقل من بيت المال[127].

- **بيمارستانات منطقة الجزيرة:**

1)- البيمارستان الفارقي بميافارقين:

ذكر أن سبب بناء هذا المارستان هو أن نصير الدولة بن مروان صاحب ديار بكر في أيام الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ/1030-1074م) مرضت ابنة له وتأثر لمرضها كثيرا فنذر إنْ برئت أن يتصدق بوزنها دراهم، فلما عالجها زاهد العلماء منصور بن عيسى النسطوري وبرئت مما كانت تشكو منه، أشار على نصير الدولة أن يجعل هذه الدراهم التي

يتصدق بها تكون في بناء مارستان ينتفع به الناس، ويكون له به أجر عظيم وسمعة حسنة، فأمر نصير الدولة ببناء المارستان بميافارقين، وأنفق عليه أموالا كثيرة ووقف عليه أملاكا تدر عليه بأموال طائلة، تجري على مرضى المارستان، وتكفل حاجتهم من الطعام والدواء والكسوة والإقامة اللائقة، وجعل فيه من الآلات وكل ما يحتاج إليه شيئا كثيرا جدا[128]، مما حقق له شهرة كبيرة على صعيد قدرته في تقديم الخدمات الطبية للمرضى كافة، كما اتخذ بهذا المارستان مجلس علمي يترأسه زاهد العلماء ويجيب على المسائل و الجوابات[129].

2)- بيمارستان الموصل:

ذكر ابن كثير في حوادث سنة 572 هـ/1176م أن الأمير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل قد بنى (جامعا حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر مدينة الموصل)[130]، وأوقف عليه الأوقاف[131]، من غير تفاصيل تتعلق بتلك الوقفيات، أو بطبيعة الخدمات المقدمة، ومهما يكن من أمر فإن عوائد هذه الأوقاف لا تخلوا من أن تكون عينا أو رزقا لمرضى المارستان وإنفاقا في شؤونه المختلفة، وتولى شؤون المارستان الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله علم الدين أبو علي الشاقلاني من طرف جمال الدين بن محمد بن علي بن أبي منصور وزير الموصل، وقد ذكر ابن جبير عندما زار الموصل هذا المارستان (وأمامه مارستان حفيف من بناء مجاهد الدين المذكور) [132].

- **بيمارستانات الشـــام:**

لقد قام بعض الباحثين[133] بإحصاء البيمارستانات الموجودة في بلاد الشام لاسيما في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني والثالث عشر الميلاديين

فأحصيت تسعة بيمارستانات، منها ثلاثة بدمشق، وهي (المارستان الصغير) و(مارستان باب البريد) و(المارستان الكبير النوري) الذي أنشأه السلطان نور الدين محمود، ومنها مارستان حلب ويسمى (النوري) أيضا نسبة إلى منشئه، ومنها مارستان حماة، ومارستان القدس الذي يسمى المارستان الصلاحي نسبة إلى منشئه صلاح الدين الأيوبي، ومارستان عكا الذي أنشأه صلاح الدين أيضا، والمارستان القيمري نسبة إلى منشئه سيف الدين أبي الحسن علي بن يوسف القيمري، ومارستان الجبل بقرية نيرب بالقرب من دمشق[134].

وهي المؤسسات الصحية التي صرحت المصادر بوجودها ببلاد الشام في تلك الفترة، إلا أنها لم تزودنا بالأخبار الكافية عن تلك البيمارستانات من حيث تاريخ نشأتها، وعن طبيعة الخدمات التي كانت تقدم بها من طرف واقفيها ومنشئيها، والأموال المرصودة لها، إلا أن المصادر قد خصت الحديث عن المشهورة منها مثل البيمارستان النوري الكبير.

البيمارستان النوري الكبير بدمشق:

وقد بني هذا المارستان على مرحلتين، الأولى وتضم البناء الأساسي في عهد نور الدين محمود سنة 549 هـ/ 1154م، والثانية حين وسعه الطبيب بدر الدين بن قاضي بعلبك سنة 637 هـ/ 1239م، وأضاف إليه دورا كانت حوله ليزيد في قدرة إستعابه للمرضى[135]، وهو أحد ثلاثة بيمارستانات التي شيدت في دمشق، وهي البيمارستان الدقاقي، و النوري، والقيمري[136].

وهو أكثر البيمارستانات شهرة، وذلك لإحكام التنظيم فيه، وكثرة الأطباء الذين مارسوا به التطبيب[137]، قال عنه ابن الأثير: (و بنى المارستانات في البلاد ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق، فإنه عظيم كثير الخراج،

بلغنـــي أنه لم يجعله وقفا على الفقـــراء فحسب بل علـــى كافة المسلميـــن من غني وفقيـــر، وكان أبناء صـــلاح الدين وأهله ليأخذون الأدوية من البيمارستـــان) [138].

وقد كان ابن أبي أصيبعة (ت: 649هـــ/1251 م) يتردد إلى بيمارستان نور الدين الكـــبير ولـــه الجامكية والجراية، والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة الشفاء وأن أمراضا كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على أجود ما يمكن، ومنها ما يعالجها بالأدوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد[139]، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عن نفسه: (وكان لي أيضا في ذلك الوقت- حوالي سنة 632 هـــ/1234 م- مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيمارستان) [140].

وقال عنه ابن كثير (وبنى بدمشق بيمارستانا حسنا لم يبن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضا)[141].

وذكر في سبب بناء هذا المارستان أن السلطان نور الدين أسر أحد ملوك الفرنجة في إحدى غزواته فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ الفداء فاختلفوا عليه، ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء، فحين رجع الملك الأسير مات ببلده، فأعجب نور الدين ذلك، وابتنى من ذلك المال البيمارستان الذي بدمشق[142].

وكان البيمارستان النوري يقدم الخدمات الطبية من جهة ويعالج المرضى ويأوي إليه من يحتاج منهم إلى إيواء، ويقدم العلاج والأدوية، وفيه جناح للأمراض العقلية، وكان من جهة ثانية مدرسة للعلوم الطبية، حيث تقدم فيه الدروس للطلبة[143].

وقد رصد له نور الدين الأوقاف والجرايات ومما اشترطه أن من جاء مستوصفا فلا يمنع من شرابه، ولهذا لما جاء إليه شرب من شرابه، وذكر أن

هذا المارستان لم تخمد نار مطبخه منذ بني إلى زماننا هذا أي زمن ابن كثير[144].

وقيل عن وفرة الطعام بهذا البيمارستان أن بعض الناس أصبحوا يتمارضون ليدخلوا إليه ويأكلوا و يتمتعوا بأطيب الأطعمة المختلفة التي تجرى على المقيمين به من المرضى.

➢ **بيمارستانات مصر:**

1)- بيمارستان ابن طولون أو العتيق:

من البيمارستانات التي أنشأت بمصر مارستان أحمد ابن طولون أو المارستان العتيق، ويعرف كذلك بالمارستان الأعلى[145]، تم إنشاؤه سنة 259 هـ/872 م وقيل سنة261هـ/874 م، ذكر أن مبلغ تكلفته 60000 دينار[146].

ويعد مارستان ابن طولون أول مارستان أنشأ بمصر ومكان بناءه الفسطاط[147]، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأجرى عليه عوائد مالية تضمن بقاءه، وكان يتعهده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته[148].

وحبس عليه دار الديوان ودوره في الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق، وشرط إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف، وأعطي ماله وثيابه[149].

ويبدو أن العوائد المالية للأوقاف المرصدة لهذا المارستان كانت كثيرة ومتنوعة، بين أسواق وقيساريات ودكاكين وحمامين ودور لضمان إيرادات دورية تضمن استمرار الخدمات الطبية لمرضى المارستان.

أما البند الوارد في شروط الواقف بألا يعالج فيه جندي ولا مملوك، فهو رغبة الواقف ألا تحتكر خدمات المستشفى من قبل المتسلطين، ويحرم منها من هم في حاجة ماسة لتلك الخدمات من العامة والمعوزين.

و قد ظل مارستان ابن طولون يقدم الخدمـــات الطبية للمرضى حتى بعد انتهاء الدولة الطولونية، فقد زاره الخليفة الفاطمي الظاهر، وتفقد المجانين فيه، وأعطى لكل مريض 50درهـــما وللمشرف عليهم 500 درهم، وأوصى برعايتهم وتقديم الطعام والدواء لهم[150].

2)- البيمارستان الأسفل:

شيده كافور الإخشيدي بالفسطاط سنة 346 هـــ/957 م بمصر، وحبس عليه جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت وميضأتين وسقايتين وأكفان الموتى، وكان في هذا البيمـــارستان من الأزيار الصيني والقدور والنحاس والطسوت، وغير ذلك ما يساوي ثلاثـــة ألاف دينـــار، ونقل إليه من البيمارستان الأعلى الذي بناه أحمد ابن طولون أضعاف ذلك[151].

وظل هذا المارستان يقدم الخدمات الطبية إلى عهد الفاطميين، والظاهر أنهم استمروا في دعم بيمارستانات العصر السابق لعهدهم[152].

3)- البيمارستان الناصري أو الصلاحي:

بناه صلاح الدين الأيوبي على قصر للفاطميين سنة 577 هـــ/1181م، عندما استولى صلاح الدين على مصر سنة 567 هـــ/1171 م استولى على القصر واتخذ منه صلاح الدين مارستانا، وهو المعروف بالمارستان العتيق،

وقيل أن القاعة التي بذلك القصر مكتوب على حيطانها القرآن الكريم، ومن خواصها أنها لا يدخلها النمل لطلسم بها، ولما قيل ذلك لصلاح الدين قال هذا يصلح أن يكون مارستانا، وذكر كذلك أن قصر أولاد الشيخ من جملة القصر الكبير كان قاعة فسكنها الوزير الصاحب معين الدولة حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به المارستان العتيق(153).

وجعل له صلاح الدين مشاهرة مبلغها مائتا دينار، و غلات، واستخدم له أطباء وكحالين وجرائحيين وشارفا وعاملا وخدّاما، ووجد الناس به رفق ونفع، و قد أخبر ابن جبير عن هذا المارستان عندما زار القاهرة سنة 578 هـ /1182م، وذلك في زمن صلاح الدين، وعن جرايات الطعام التي كانت تجرى على المرضى على النحو الذي يليق بهم (ومما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان، المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة، حسنا و اتساعا، أبرز لهذه الفضيلة تأّجرا واحتسابا، وعين قيما من أهل المعرفة، وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرّة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضـــى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذيـــة والأشربـــة بما يليق بهم)(154).

خامسا- مجانية العلاج و الخدمات في المارستانات الإسلامية:

فقد كانت المارستانات الإسلامية تقدم العلاج للمرضى الوافدين إليها بالمجان، فإذا اكتشف الطبيب الذي يقوم بالفحص الأولي أن المريض بحاجة لأن يقيم بالمارستان، يجعل له بطاقة شخصية يسجل فيها الطبيب تشخيصه

للمرض، وتصوراته حول أساليب العلاج، وتبقى معه هذه البطاقة طيلة إقامته بالمارستان. (155)

ويتحمل المارستان كل نفقات العلاج المتعلقة بالمريض وطعامه وشرابه وما يلزمه من الدواء طيلة إقامته بالمارستان، وعند خروجه منه يعطى مبلغا من المال يعتمد عليه حتى يبرأ، ويتمكن من التكسب(156).

وهناك من الأطباء المسلمين من جعلوا بيوتهم أشبه بالمارستان لمعالجة المرضى دون مقابل مثل الطبيب الطيب القطيعي أبو عبد الله، فقد كان بيته ملجأ للمرضى الضعفاء فيعمل على علاجهم، ورعاية صحتهم، وإطعامهم بالمجان وإعطائهم الأموال التي يستعينون بها(157).

وكان المريض المقيم بالمارستان يعالج مجانا ويتولى المارستان نفقات العلاج والطعام له، فيخصص للمريض المقيم بالمارستان سرير مفروش بأفرشة لائقة، ويعطى الدواء الذي وصفه له الطبيب، والغذاء الذي يناسب حالته الصحية، فيقدم له لحوم الأغنام والأبقار والطيور والدواجن، وكان يمنع من الأطعمة التي لا تناسبه(158).

وقد كان الخلفاء والأمراء يتفقدون أحوال المرضى المقيمين بالمارستانات بأنفسهم(159)، فقد كان مجاهد الدين قايماز يدخل إلى المارستان الذي بناه بالموصل ويقف على أحوال المرضى، ويسأل عن ظروف إقامتهم، وما يشتهونه من الأطعمة، وكان يتفقد داره التي أقامها للمرضى والعميان، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم، وكان يأتيهم بنفسه في يوم الاثنين والخميس، ويزور كل واحد منهم في بيته ويسأله عن حاله، ويتفقده بشيء من النفقة، ويباسط المرضى ويمزح معهم ، ويجبر قلوبهم(160).

وكذلك كان عليه الأمر بالمارستان الذي بناه السلطان صلاح الدين بمدينة القاهرة الذي كان بمثابة قصرا من القصور الرائقة حسنا واتساعا، وضعت

به الأسرة التي يتخذها المرضى كمضاجع كاملة الكسى، وجعل فيه خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى ويعطونهم من الأغذية و الأشربة التي تليق بهم[161].

وقد كان يعالج أصحاب الأمراض العقلية والنفسية مجانا، فقد ذكر أن عبد الغافر السروستاني غلب عليه العشق حتى حمل إلى المارستان ببغداد وقيد، وظل مقيما به حتى عفي مما ابتلي به[162].

وقد كان ببعض مرافق بيمارستان صلاح الدين بالقاهرة موضع متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت كمحابس للمجانين، ولهم من يتفقد أحوالهم ويقابلها بما يصلحها، وقد كان السلطان صلاح الدين يتابع تقديم تلك الخدمات بنفسه[163].

وقد كان أطباء المارستان يحصلون على أجور من الدولة لقاء عملهم، أو من العوائد المالية التي يتحصل عليها المارستان من أموال الأوقاف، وكانت هذه الأجور تتماشى مع المرتبة العلمية لكل طبيب وهي تتراوح بين خمسة عشرة وخمسة وعشرين دينارا في الشهر بالإضافة إلى بعض الخدمات الثانوية التي يؤمنها المارستان للطبيب المنتمي إليه مثل السكن وعلف الدابة ، وقد تبارى كثير من الأطباء في معالجة المرضى المعوزين مجانا، فضلا عن الخدمات المجانية التي كان يقدمها المارستان[164].

هوامش:

[1] – عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار الهداية، القاهرة، ص41–42.

[2] – سورة الإسراء الآية 82.

[3] – سورة الأنبياء الآية 84.

[4] – عامر النجار: المرجع السابق، ص43.

[5] – أسماء يوسف أحمد آل ذياب: الرعاية الصحية والطبية في القــرن الأول الهجــري (1–101ه /622–719م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، السنة الجامعية 2010–2011 ، ص101–102.

[6] – فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهريــة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 1986 ،ص193.

[7] – ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس الســعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشــورات دار مكتبــة الحياة، بيروت، ص47.

[8] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص193. سعيد إســماعيل علــي: المرجــع الســابق، ص532. نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربيــة، ط1، بيــروت، 2006، ص320.

[9] – عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د،ت)، ص168.

[10]– سعيد إسماعيل علي: سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص532.

[11] – مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار السلام، ط1، القاهرة، 1998، ص109.

[12]– فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص193–194.

[13] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص421.

[14] – ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى الســقا وآخرون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبــي وأولاده ، ط2، القــاهرة، 1375ه/1955م، ج1، ص325.

[15] – ابن هشام: المصدر السابق، ج2، ص239.

[16] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[17] – أسماء يوسف: المرجع السابق، ص 111–112.

[18] – نفسه، ص ص 113–119.

[19] – علي حسين الشطشاط: تاريخ الجراحة في الطـــب العربـــي (مـــن القـــرن 3-7ه/ 9-13م)، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، المملكة المغربية، 1997، ج1، ص69.

[20] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[21] – القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشـــاء، تحقيـــق يوســـف الطويل، دمشق، ط1، دار الفكر، 1987، ج1، ص 431.

[22] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 175.

[23] – علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ج1، ص70.

[24] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[25] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص179 .

[26] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

[27] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1968.، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1992 .ج6، ص 287. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1977.، ج4، ص246.

[28] – جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإســـلامي، منشـــورات دار مكتبـــة الحيـــاة بيـــروت، ج3، ص 208. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

[29]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج5، ص 424.

[30] – مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافـــة العباســـية، رســـالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص17.

[31] – أسماء يوسف: المرجع السابق، ص160-161.

[32]– فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195- 196 .

[33]– نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1، بيـــروت، 2006، ص330.

[34]– ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصـــل، دار الكتـــب الحديثـــة، القاهرة، ص171. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص17.

[35]– جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 3، ص208.

[36] – عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة أسعد، 1967، ص136. حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، دار الأهليـــة للنشـــر والتوزيـــع، بيـــروت، 1986، ص203.

[37] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196.

[38] – ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص410.

[39] – أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربـــي، بيـــروت، ط2، 1981، ص178.

[40] – نفسه، ص178. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196. ضـــيف الله يحـــي الزهراني: المرجع السابق، ص410.

[41] – المقريزي: المصدر السابق، ج4، ص 267. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208–209. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[42] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

[43]– مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص18.

[44] – الزهراني، ضيف الله يحي: النفقات وإدارتهـــا فـــي الدولـــة العباســـية مـــن ســـنة (132 هـــ/243 هـــ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986، ص411.

[45] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيـــق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج23، ص28.

[46]– ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص411.

[47] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302. مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص19.

[48] – ابن كثير: البداية والنهاية، دار هجر للنشر والتوزيـــع والإعـــلان، ط1، الجيـــزة، 1997.، ج14، ص807. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[49] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

[50] – ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص178. السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الغـــد الجديـــد، ط1، القاهرة، 1428 ه/2007 م.، ص 351.

[51] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

[52] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـــاهرة، دار الكتـــب العلميـــة، ط1، بيروت، 1992.، ج3، ص216.

[53] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

[54] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184. ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص413.

[55]– الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، ط2، بيروت، 1980، ص197.

[56] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ج12، ص315.

[57] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص245.

[58] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

[59] – ابن العبري أبو الفرج غريغوريس الملطي: تاريخ مختصر الـــدول، دار المســـيرة، بيروت، (د،ت)، ص172. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص410.

[60] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 189.

[61]– أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189– 190.

[62]– نفسه، ص 190.

[63] – ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص240. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

[64]– السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 413. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

[65]– كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، (د،ط)(د،ت)، 1984، ج1، ص 613.

[66] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص156. الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص170.

[67]– الكحالة: أطباء أمراض العيون و الطبائعيون: الأطباء المختصون في الأمـــراض الباطنيـــة. ابن أبي أصيبعة، ص416.

[68]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416. البيضـــاوية بلكامـــل: البيمارســـتانات وأدوارها التطبيقية والتعليمية، يوم دراسي حول الثقافة أساس التفاهم والتطور والحـــوار، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998م، ص269.

[69]– عامر النجار: المرجع السابق، ص331. البيضـــاوية بالكامـــل: المرجـــع الســـابق، ص269.

[70]– البيضاوية بلكامل: المرجع السابق ،ص565.

[71]– محمد عبد الله أحمد القدحات: الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (656/575)هـــ، دار البشير، عمان، 2005، ص263.

[72]– النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنـــون الأدب، تحقيـــق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج33، ص152.

[73] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص123. مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص25.

[74] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628، مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص25.

[75] – زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وكمـــال الدسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، بيروت، 1993، ص 229.

[76] – ابن الإخوة: ضياء الدين القرشي المعروف بابن الإخوة: معالم القربة فـــي أحكـــام الحسبة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421 هـــ/2001 م، ص178.

[77] – ابن الإخوة: المصدر السابق، ص178– 179.

[78] – نفسه، ص179.

[79] – نزيه شحادة: المرجع السابق، ص331.

[80] – عبد الله ناصح علوان: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، ط5، القـــاهرة، 1983، ص 80.

[81] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص21.

[82] – مؤمن أنيس: المرجع السابق، ص27. أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصـــر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبـــع والنشـــر القـــاهرة، 1972، ص30.

[83] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[84] – ابن أبي أصيبعة، ص485 ــ 524 . مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع الســـابق، ص39.

[85] – البيضاوية بالكامل: المرجع السابق، ص278.

[86] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 218.

[87] – الطبري: المصدر السابق، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنـــتظم، ج6، ص287. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص246.

[88] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص140 و196 و218.

[89] – جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 3، ص208.

[90] – الطبري: المصدر السابق، ج8، ص142.

[91] – مؤمن أنيس عبد الله البابا:المرجع السابق،ص55.

[92] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص179.

[93] – ابن أبي أصيبعة: المرجع السابق، ص 302.

[94] – الصفدي: الـــوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركـــي زكـــي، دار إحيـــاء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000، ج 21، ص246.

[95] – الصفدي: المصدر السابق، ج 21، ص245– 246 .

[96] – عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص137.

[97] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807. فرج محمد الهوني: المرجع الســـابق، ص197.

[98] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

[99] – السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 351. خير الدين الزر كلـــي: الأعـــلام، دار العلـــم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ج3، ص168.

[100] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

[101] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص216.

[102] – عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص 137.

[103] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

[104] – حنيفة الخطيب: المرجع السابق، ص207.

[105] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع الســـابق، ص37.

[106] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

[107] – رعد محمود البرهاوي: خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القـرن العاشر الهجري، المجمع العلمي، بغداد، 2002، ص192.

[108] – ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

[109] – ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص410.

[110] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189.

[111] – نفسه، ص 189.

[112] – محمد عبد الله أحمد القدحات: المرجع السابق، ص 263.

[113] – ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص575.

[114] – ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص126.

[115] – عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص300.

[116] – مصطفى جواد وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، مطبعـة المجمـع العراقي، 1958، ص 143.

[117] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

[118] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415– 416، مصطفى السباعي: المرجـع السابق، ص111.

[119] – ابن جبير: المصدر السابق، ص 201.

[120] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص195.

[121] – ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

[122]– ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص220.

[123]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302.

[124]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص15.

[125]– عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص303.

[126] – ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص594.

[127] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص197.

[128] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص198–199.

[129] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص198.

[130] – ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص519.

[131] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص200.

[132] – ابن جبير: المصدر السابق، ص 179.

[133] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص ص 229–232.

[134] – إبراهيم مراد: بحوث في تاريخ الطـــب والصـــيدلة عنـــد العـــرب، دار الغـــرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981، ص236.

[135] – عبد القادر الريحاني: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في ســـورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، ص109–110.

[136] – نفسه، ص108.

[137] – نفسه، ص236.

[138]– ابن الأثير: الباهر، ص 170.

[139] – إبراهيم مراد: المرجع السابق، ص239.

[140] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 706.

[141] – ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص481.

[142] – نفسه، ج16، ص486.

[143] – عبد القادر الريحاني: المرجع السابق، ص109.

[144] – ابن كثير: ج16، ص 486.

[145] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص68.

[146] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص 590.

[147] – المقريزي: الخطط، ج4 ، ص267.

[148] – نفسه، ج4، ص267. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208–209. فرج محمـــد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[149] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص70.

[150] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204.

[151]– أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص74.

[152] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204–205.

[153] – أحمد عيسى بك، ص76– 77.

[154] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[155] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26. ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 138.

[156] – محي الدين عبد الواحد بن علي التيمي المراكشي: المعجب في تلخـيص أخبـار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، (د،ت)، ج1، ص287.

[157] – التنوخي أبو علي المحسن بن علي القاضي: الفرج بعـد الشـدة، تحقيـق عبـود الشالحي، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص309.

[158]– الرازي أبو بكر محمد بن زكريا: الحاوي في الطب، تحقيق هيـثم طعيمـي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002، ص272.

[159]– المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص287.

[160] – ابن خلكان، ج4، ص116.

[161] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[162] – السبكي: المصدر السابق، ج7، ص173.

[163] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[164]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 243.